

## على الخلاف

## اتركوهم بسلام!

صباح ايوب

هم العمّال المتجهون إلى وظائفهم ومصانعهم مشياً على الأقدام كل يوم. هم الأطفال الذين يتعلمون في مدارسهم أن حبّ الوطن هو حبّ الأم. هم أهل بيونغ يانغ الطبيعيين حدّ الخجل. هم المتعبون من ظلم العالم بأسره. هم الكادحون لكي يبقى في الدنيا من يقف بوجه الإمبريالية بكل أشكالها. هي الشمس التي تشرق على وقع الموسيقى وعجلات المصانع. هي الدولة التي تحرص، رغم الحصار، على طبابة وتعليم مجانيين وحدائق خضراء ورياضة متفوّقة وتعليم موسيقي ميكرو. هم الأجساد غير المتخمّة والوجوه النحيلة، همومهم اليومية أكبر من الجبال. اتركوهم بسلام لا تزيدوا الجمل أكثر.

تتحدثون عنهم باستعلاء وسخرية، تصفون عالمهم بـ«المغلق»، وتعيرونهم بأنهم «متشابهون حدّ التطابق». بالله عليكم انظروا في المرأة وفي الصور المنتشرة على مواقع تواصلكم «الاجتماعي»، أنتم المتشابهون حدّ الضجر. متطابقون في أشكالكم البعيدة عن هوياتكم وفي طريقة كلامكم ولباسكم وابتساماتكم ونكاتكم وموسيقاكم السائدة وغياب تجاعيدكم وأشكال علاقاتكم حتى الحميمة منها، وفي طرق عيشكم بأصغر تفاصيلها. انظروا من حولكم، ثقافتكم السائدة تعزل الرؤوس الحرّة وأفكاركم المعتمّة تصنّف المختلف «رجعياً». تتغنّون بحريّتكم والعنصرية تزداد كلما زاد انفتاحكم، والانغلاق يستفحل كلما زالت الحدود. أنتم أيضاً مسؤولون، وسوركم ضخم بينما سور كوريا... عظيم!

لن أدعي معرفة الحقيقة حول حياة الكوريين وحالاتهم النفسية وكيف يفكرون. لم أسألهم إن كانوا سعداء، ولم أتأكد إن كان حبّهم لقاتهم حقيقياً. لكن الأكيد أن حبّهم لوطنهم مدرسة. هم متعبون ويعترفون بذلك حتى في أغنياتهم. هم صادقون، وهذا لا يحتاج إلى سؤال. النظر في عيونهم يكفي. يعلمونك اللطف وهم أكثر الشعوب معاناةً. يغفرون لنا وهم المتخبطون في أزمت لا ذنب لهم فيها، يغفرون لنا نحن الذين وقفنا متفرجين. لن أدعي أن الكوريين بآلف خير، ولن أتكلّم بما هو الأفضل لهم، بل سأصمت وأحبيّ تعبهم اليومي المنتج. سأصمت أنا بالذات، الصحافية. السائحة الآتية من لبنان. إذ كيف لزائر أت من بلد القمامة والبراز في الطعام والمجارير في المياه والسّم في الدواء أن يشعر بالتفوق على أي بلد آخر في الكون؟!

قد نستأهل ما تعتمّه علينا أميركا والغرب من ثقافة مفرطة في السرعة والتسطيح الفكري، وقد نستأهل صواريخ نووية من شعوب مظلومة لا نريد أن نرى مأسيتها... لكن بالتأكيد لا أحد في العالم يستأهل لطف الشعب الكوري وابتساماته الخجولة. لذا، دعوهم وشأنهم، فهم لا يريدون شيئاً منا. دعوهم بسلام، وكفّوا بلاءكم عنهم. ربما، حينها فقط، قد تنتبهون إلى حياتكم أنتم وتنتظرون في عيون أحبائكم فترتون عمق مأساتكم وتبدأون بالمقاومة.

بيونغ يانغ - صباح ايوب

الخماسة فجرأ في بيونغ يانغ. موسيقى هادئة تعلو في سماء المدينة من مكبرات للصوت، أنوار المنازل الخافتة تضاء تبعاً، تنطلق أولى الدراجات الهوائية على الرصيف المعتم. تصمت الموسيقى بعد ست دقائق ويصل القطار في اللحظة ذاتها إلى المحطة. المشهد نفسه، بالأوقات ذاتها، يتكرر كل يوم، حتى تمتلئ الشوارع بالناس بعد حوالي الساعة... صباح جديد يحلّ على عاصمة جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، العاملة المقاومة.

لم أنت في بيونغ يانغ أصلاً؟ سؤال طرح عليّ باستمرار خلال الزيارة التي دامت خمسة أيام في العاصمة الكورية، وقبل الوصول إليها حتى «لماذا تريدون الذهاب إلى كوريا الشمالية؟ هل تعلمين أنه لا يمكنك التكلّم مع أحد في الشارع هناك؟ لن تكتبي مقالاً سياسياً صح؟» سألني الأمين العام لاتحاد كرة القدم جهاد الشحف بعدما استدعاني إلى مركز الاتحاد قبل أسابيع من السفر، منبهاً من الظروف الصعبة التي ستحيط بالرحلة خاتماً اللقاء بتخدير «الطيب»: «بعد سفرك هذه لن تحصلي على أية تأشيرة دخول إلى أي بلد آخر!»

التخوف ذاته أباده زملاء المهنة أيضاً، «انتبهى لنفسك جيداً ولا داعي للقيام بطولات»، «سباخون منك دفاترك وأقلامك والكاميرا والهاتف» قال لي بعض زملاء الصحافيين والأصدقاء بكل حرص واهتمام، وكنت أطمئنهم بأنني «سأكون في أيد أمينة». لا أدري، بصراحة، من أين جاء هذا اليقين.

الرحلة متعبة والسفر طويل، نصل إلى بكين ومنها إلى بيونغ يانغ عبر الخطوط الجوية الكورية. في الطائرة ركاب كوريون وصينيون ونيوزيلنديون إضافة إلى بعثة المنتخب اللبناني. التعرّف إلى المواطنين الكوريين بين الركاب كان سهلاً، فمعظمهم يضعون زراً أحمر عليه صورة مؤسسي الجمهورية، الرئيسين السابقين كيم إيل سونغ وكيم جونج إيل. المضيفات الأنيقات يبتسمن لكن لا شيء يخفف من التوتر والحماسة والأدريين الذين مع الدخول إلى مطار بيونغ يانغ الخالي من أي ركاب آخرين. التفقيش دقيق، الي ويسدوي، رجال الأمن وسيداته يدققن في الوجوه، يسألني أحد عناصر الأمن عند شبك الدخول عن رقم الشارع في عنواني السكني في لبنان، فأجيبه «لا يوجد»، يبتسم ويختتم لي أذنأ بالعبور. لم يفتش أحد حقبيتي الكبيرة، ولم يفتح رجال الأمن حقيبة اليد بل طلبوا بلطف شديد أن أسلمهم الهاتف والكاميرا. بعد ثوان، أعادوهما إليّ من دون أي سؤال أو طلب أو شرط، علماً أنني صرّحت في طلب الفيزا وورقة الدخول عن مهنتي ونبّتي دخول البلاد كصحافية. دخلت الأراضي الكورية من دون أي تحقيق ولم يُصادر أي من أغراضي. يزول التوتر تدريجياً وتساوم مناظر الحقول الخضراء على طول الطريق المؤدّي إلى المدينة بتهديئة الأذهان والنفوس. دخلنا بيونغ يانغ وقت

قبل أشهر من الرحلة، علمت بالصدفة أن هباراة ستجمع المنتخب اللبناني لكرة القدم بالمنتخب الكوري في بيونغ يانغ، فتقدّمت من خلال قسم الرياضة في الجريدة، بطلب لمرافقة المنتخب في رحلته المرتقبة. «بلا هز» كانت ردّة

# «الأخبار» في كوريا: بيونغ يانغ تهاجم



في ذكرى تأسيس الجمهورية... زهور على ضريح الرئيس المؤسس (أف ب)

الغروب. عمّال وموظفون عائدون من أشغالهم، سيراً على الأقدام وعلى دراجات هوائية، شوارع شبه خالية من السيارات واسعة معبّدة نظيفة وشجر كثير على جانبي الطريق. تستقبل بيونغ يانغ زائريها بسكينة مدهشة. هدوء حتى داخل بهو الفندق الضخم، لم يعكّره سوى ضجيج البعثة اللبنانية. يعلو صراخ بعض اللاعبين اللبنانيين بوجه عاملات الاستقبال المرخبات الميتسمات، احتجاجاً على عدم توفر «واي فاي» في الفندق. خدمة الانترنت موجودة في الفندق لكن بطريقة سلكية يصلها من يريد بجهاز كومبيوتره المحمول. رغم ثقل الحضور اللبناني، حافظ الموظفون على ابتسامات دائمة رقيقة وخدمة سريعة واستجابة حاضرة لكل



**لم يلتقط الكوريون أنفاسهم بعد منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية**



المطالب. عاملات التنظيف يعتذرن بخجل مريب لدى دخولهنّ الغرف ليؤدّين أعمالهنّ، يلاحظن أنني الفئاة الوحيدة ضمن نزلاء البعثة اللبنانية، فيستبدلن في اليوم التالي ملاءات السرير الزرقاء بأخرى مطرزة بورود زهرية.

الكوريون لا يصطنعون اللطف بل يصنعونه كل يوم، في تحيّاتهم الباسمة في المصاعد وفي المحل التجاري وفي المطعم داخل الفندق... أما في الشارع فينظر إليك المارة مباشرة في العيون بقليل من الاستغراب وكثير من الجذبة. حركة المارة لا تخفّ حتى حلول الليل، الكل يسير بخطوات سريعة، يقطعون مسافات بعيدة سيراً على الأقدام إذ لا أحد يملك سيارة خاصة ووسائل النقل العمومية قليلة نسبة لعدد سكّان المدينة، لذلك تبقى الباصات والتراتمواي في حالة اكتظاظ. النساء كما الرجال يشاركن بأعمال تنظيف شوارع المدينة وجزّ عشبها وترتيب حدائق مستديراتها ورصف أرصفتها. النظافة لافتة في الشوارع الأساسية والفرعية وحتى في الأنفاق السفلية للطريق.

المدينة الراقدة بين نهريين جميلة وهادئة وفيها حركة بشرية دائمة خلال النهار، الجو ملوّث بسبب دخان المصانع القريبة لكن كثرة الشجر لا تشعرك بثقل الهواء. أكثر ما يلفت النظر بداية هو تلك المباني الملوّنة بالأخضر والزهري والأصفر والأزرق أشبه بقطع «الليغو» ضخمة. شعور طفولي جميل في عاصمة نووية. الأرصفة الواسعة تتضمن خط دراجات هوائية لا يهدأ، عدد قليل جداً من المارة يتكلمون في هواتفهم الخلوية ويحدث ذلك بالأغلب في محيط محطة القطر. هكذا يستعيد زائر بيونغ يانغ متعة رؤية وجوه المارة وملامحهم



من مدخل الملعب الرياضي قرب قوس النصر (الأخبار)

زهرة المانيوليا هي الرمز الوطني للبلاد، وفي المدينة حدائق عامة تمتلئ بها، زهرة الأوركيد الوردية اللون رمز لمؤسس الدولة كيم إيل سونغ، والحمراء لكيم جونج إيل والد الرئيس الحالي. في الأحياء السكنية، حدائق عامة

في وضعيتها الطبيعية مرفوعة مكشوفة وليست منخنية ملتصقة بالهواتف الخلوية. ملصقات ثورية وشعارات وطنية تزين بعض الأعمدة والجدران، صور الأزهار تنتشر أيضاً في المدينة وعلى المنتجات المصنّعة محلياً.